العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام

أُصول الدين

موجز ومبسّط

الشيخ محمد البغدادي

وحدة الدراسات والنشرات

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام
وحدة الدراسات والنشرات

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٣٣)

هاتف:٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥ـ١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب:أصول الدين موجز ومبسط.

تاليف: الشيخ محمد حسين البغدادي.

الناشر قسم الشؤون الفكرية في العتبة العباسية المقدسة.

التصميم والاخراج الطباعي: علاء سعيد الأسدي.

التدقيق اللغوي: هاشم الصفار.

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ١١٠٩ لعام ٢٠١١.

المطبعة : دار الضياء – النجف الأشرف.

الطبعة : الاولى.

عدد النسخ : ٢٠٠٠

جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ – ايار ٢٠١١م

عن النبي الأعظم محمدّ ﷺ :

أبشروا بالمهدي

أبشروا بالمهدي

أبشروا بالمهدي

قالها ثلاثاً

يخرج على حين اختلاف من الناس، وزلزال شديد، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً[1].

(١)بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج٥١، ص ٧٤، ح ٢٤ عن كتاب الغيبة، للشيخ الطوسي.

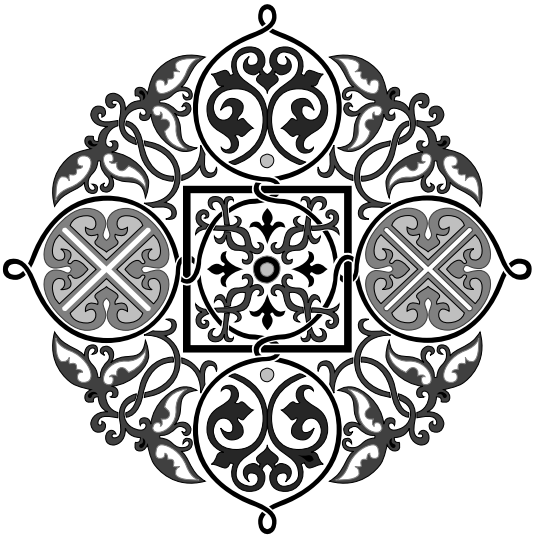

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله المعصومين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَّ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُّ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]

تعالوا معي إلى رحاب الله:

أحبائي :

نعلم جميعاً، ويعلم كل إنسان، أنّ الحياة التي ننعم بها على الأرض، إنّما هي حياة قصيرة لابدّ أن تنتهي عند نقطة معينة، حدّدها الله تبارك وتعالى لكُلّ فرد من وُلد آدم عليه السلام.

بل وصف الإمام علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام حياتنا هذه بوصف بليغ جداً، إذ مثّلهم - أي أهل الدنيا جميعاً - بأهل قافلة مسافرين توقفوا في مرحلة من مراحل سفرهم بمنطقة، وأنزلوا أثقالهم ومتاعهم وعيالهم، وأخذوا في نصب خيامهم وترتيب أمتعتهم، فما إن فرغوا من النصب والترتيب، وإذا بالمنادي ينادي فيهم بجمع متاعهم

(١)سورة آل عمران، الآية ٣١.

والارتحال إلى منطقة أُخرى عاجلاً[1].

وهو وصفٌ دقيقٌ جداً، ويفيد أن الدنيا ليست بدار استقرار ودار ارتياح بل هي محطة سفر، فمحطات السفر يرتاح فيها المرء قليلاً ويتزوّد بالوقود والطعام والماء وبعض احتياجاته، ثم يواصل السفر من جديد حتى يصل إلى غايته النهائية وهي في مثالنا; المدينة التي يقصدها، وفي الموضوع الذي نتحدث عنه: تكون الجنّة هي الغاية النهائية السعيدة.

ونحن جميعاً نتمنى لهذه الحياة الاستمرار، والاستمرار بلا نهاية وانقطاع، مع رزق كريم وهناءة، غير أن استمرار الحياة الدنيا مخالف لسنّة الله سبحانه، والذي كتب على عباده الموت والفناء والانتقال من عالم إلى عالم آخر.

إننا نتمكّن - بعون من الله تعالى - أن نستمر في ساحة الوجود، وبهناءة، بشرط!

لكن ما هو هذا الشرط؟ والذي فيه حلّ مشكلتنا العظمى، وتحقيق أعظم أمانينا .

إنّه يتحقق عبر:

أ - معرفة الله سبحانه، والاعتقاد بهذه المعرفة، وهذه أصول الدين.

ب - ومعرفة أوامره ونواهيه، والعمل وفقها، وهذه فروع الدين.

---

(١) راجع نهج البلاغة، السيد الرضي، الكلمات القصار، الكلمة ٤١٥.

فمن أخذ بهذا الشرط - ذي الشقّين - وسلك هذا الطريق، وعمل بما تقدم في «أ- ب» فقد قضى ما عليه، وجزاء هذا الشرط،على الله جلّ وعلا.

الله سبحانه وعد عباده، العاملين بشرطه: النجاة وسعادة الأبد.

بعد أن أهبط الله سبحانه آدم من الجنة إلى هذه الأرض، أبلغه بطريق الخلاص من متاهات هذه الحياة ومضايقها، وظلمات طريق الأبد.

قال سبحانه لآدم:

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

وهُدى الله، هو الأخذ من الأنبياء والأوصياء والكتب السماوية.

وبالنسبة لنا: أخذ علوم الدين وأحكام الله سبحانه من طريق أعلم علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام:.

إذ يقوم هو: باستكشاف أوامر الله ونواهيه من الكتاب والسُنّة وببيانها لنا.

والذي علينا:هو تنفيذ كلام الفقيه الأعلم وفتاويه، لبلوغ ساحل النجاة.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٨.

وقال سبحانه:

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

يعلم العقلاء، أن وراء هذه الحياة القصيرة، المليئة بالآلام والمشاق، يوماً للحساب، يُجازى فيه كلّ محسن بما عمله في الدنيا بالإحسان والتكريم، ويقاسي فيه كلّ مُسيء بما اقترفه بالإساءة والتحقير.

لا عتب على الدنيا، إن لم تخلُ من الآلام والمصاعب والكدر، لأنّها دار التكليف، والامتحان، ودار ترجمة طيبة النفس الإنسانية، أو خباثتها إلى أعمال خارجية، تفصح عن حقيقة المرء، وتكشف عن معدنه، وعن مدى طواعيته للإرادة الإلهية، التي أوجدته، وأسبغت عليه النعم، وأحاطته بالرعاية والاهتمام.

وفي مقابل ما أفاضت عليه، لم تُكلّفه بشيء إلاّ بما يعود عليه بالنفع الهائل في طول مسيرته الوجودية التي لا تنتهي.

قال الله جلّ جلاله:

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[2].

إن الله سبحانه، هو الخالق والمالك للكون كلّه، بكل موجوداته.

ولكونه الخالق، فله سبحانه - بحكم خالقيته - الحقّ في أن يتصرف

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١١.

بمخلوقاته حسب إرادته ومشيئته المطلقة.

غير أنّه سبحانه لم يستخدم حقّه هذا، وهو سبحانه الغنيّ عن كل شيء، فلا ينتفع بأحد، ولا يحتاج لأحد، ولا تنقص خزائنه ولو أعطى كل واحد من خلقه، بقدر ما في ساحة الكون كلّها.

غير انّه سبحانه، مثلما هو قادر، وغني، فهو حكيم، لا يفعل شيئاً إلاّ لحكمة.

وحكمته سبحانه تقتضي أن يُفيض من عطائه على عباده وفق ضوابط وقوانين، هو جاعلها ومقنّنها.

وقد وعد الله سبحانه في كتابه الكريم، وعلى لسان أنبيائه وأوصيائهم، أنّ من عَمِل بأوامره ونواهيه فإنّه مشمول بعنايته في الدنيا والآخرة.

ومن جملة وعوده تعالى، الآية الكريمة المتقدمة التي بيّن فيها انّه اشترى من المؤمنين به أموالهم وأنفسهم، فإذا أنفق المرء أمواله بالطريقة التي أمره الله بها، وسلك في حياته، المنهج الذي أمره الله به، فإنّ الله يعوّضه الجنّة، فأيّ عاقل لا تسكن نفسه إلى وعود الله، وأي ذكيّ زكيّ لا يقبل بالعوض الذي يبذله الله.

عن مولانا سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام في دعائه الجليل يوم عرفة مخاطباً الله تعالى:

«ماذا وجدَ من فَقَدكَ، وما الذي فَقَدَ منْ وَجَدَك»[1].

نعم إذا قدّمنا أنفسنا وبذلناها لله تعالى، فإننا نخسر حياة مليئة بالمنغّصات والمخاوف والأحـزان، بل نتمنى خلالها الموت مرات ومرات لما نلاقيه من تعقيدات الحياة، ولعلّ هذه الحياة التي نضحّي بها لله لم يبق منها غير أشهر أو أيّام، والموت حتم لكل كائن حي، فَأَنْ تموت وأنت موعود من الله بالخيرات وجميل العوض، خير من أن تموت ولا تدري إلى أين سيكون المصير والمستقر.

رجلان التقيا سيد الشهداء وهو في طريقه إلى لقاء الله تعالى:

أولهما: الحر بن يزيد الرياحي، قائد الجيش الأموي.

وثانيهما: عبيدالله بن الحر الجعفي.

الحر بن يزيد: منع الإمام الرجوع وحصره حتى اجتمعت عليه جيوش الكفر والطاغوت، فندم الحر وأحس بالجُرم العظيم الذي اقترفه وصمم على تصحيح خطأه فقال:

«إنني أُخيّر نفسي بين الجنّة والنار، والله لا أختار على الجنّة شيئاً»

وضرب حصانه وتقدم وأعلن ندمه أمام الإمام فقبل الإمام توبته، ثم استأذن الحر الإمام وخطب في جيش يزيد ليكون سبباً للهداية كما كان سبباً للأزمة والحصار، ثم نزل مقاتلاً وضحى بنفسه الشريفة في

(١) راجع: دعاء عرفة لسيد الشهداء، تجده في كتاب مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.

سبيل الإمام فمدحه الإمام عليه السلام وقال: «**أنت حرّ كما سمّتك أُمك**»[1].

وعبيد الله بن الحر الجعفي: إلتقاه الإمام في مسيرته فدعاه الإمام إلى نصرته وقال له:

«**يا ابن الحر، اعلم إن الله عز وجل مؤاخذك بما كسبت من الذنوب في الأيام الخالية، وأنا ادعوك إلى توبة تغسل بها ما عليك من ذنوب.. ادعوك إلى نصرتنا أهل البيت**».

فأبى، غير انّه قدّم فرسه للإمام، وما كان إباؤه إلا لحبّه للحياة ورغبته في الاستمرار بها، فلم تسمح نفسه بالتضحية والفداء لأجل الإسلام وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له الإمام:

«**إن كُنتَ رغبتَ عنّا بنفسِكَ فلا حاجة لنا فيك ولا في فرسك**»[2].

واستشهد الإمام وصحبه الأكارم، وعاش ابن الحرّ بعدها سنتين، فروي انه خرج في جيش لابن زياد لعنه الله تعالى فحاول عبور نهر وإذا به يسقط في الماء ويموت.

الفرق بين الحر الرياحي وابن الحر الجعفي سنتان، إلاّ أن الحر ورد على الآخرة عظيماً من العظماء وشهيداً من أفضل شهداء الدنيا، وابن

---

(١) راجع تفصيل قصة الحر بن يزيد الرياحي في كتاب: حياة الإمام الحسين عليه السلام : الشيخ باقر شريف القرشي، ج٣ ص ٧٣ وما بعدها.

(٢) راجع تفصيل قصة عبيدالله بن الحر الجعفي في كتاب: حياة الإمام الحسين، الشيخ باقر شريف القرشي، ج٣ ص ٨٦.

الحر وردها محمّلاً من الآثام والخزايا ما لا يعلمه إلاّ الله سبحانه .

ما تقدّم من الكلام حول الدنيا، والآخرة لنا إطلالة عليها أيضاً.

فأيّة نسبة بين الأرض والحياة الدنيا، وبين الجنّة وحياة الآخرة.

أرض الدنيا تراب وأرض الجنّة كافور

ودور الدنيا حجر وطين، وقصور الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضّة.

وأين أنهار الدنيا مع ملاحظة ملوحتها، أو زفرتها، أو تلوثها، مع أنهار الجنّة.

نهر من عسل: ومن يحصل على العسل الخالص في الدنيا، وكم تستطيع أن تشرب منه.

ونهر من خمر: وخمر الدنيا يُذهب العقل والإدراك والغيرة ويسلب المرء آدميته، وخمر الجنة لذةٌ دون أي أثر سيء.

ونهر من لبن.

ونهر من ماء.

وهي أنهار: عسل وخمر ولبن وماء، لا تُشابه عسل وخمر ولبن وماء الدنيا، إلاّ بالاسم وبعض الصفات، وإلاّ فما في الجنة لا يتخيّل حسنه ولذّته وصفاته الجميلة إنسان أبداً، فإنّ قدرة الله سبحانه في الإنعام وخلق الجمال واللذائذ تتمثل في ذلك العالم، فتخيّل كيف ستكون تلك

الدار، وأيّة حياة ستكون تلك الحياة.

جمالٌ في جمال في جمال..

أرض من كافور، وأنهار من عسل، وقصور من ذهب، وخدم كأنهم اللؤلؤ، ونساء حور، ونعيم يحمل أسماء نعيم الدنيا ولا مثيل له في حجم ولون وعطر وطعم، وأين أنت عن فسيح الجنة وفسيح قصورها عن ضيق الأرض ودورها بأهلها، فمن يملك في الدنيا داراً مَلَكَ مائة متر أو ألف، ومُلْكُ الجنّة بالملايين والمليارات.

هناك: تعرف في وجوه أهل الجنّة نَضْرَة النعيم وهناءة العيش، وما أهنأ تلك المجالس التي لا ينغّصها مُنغّص أبداً، وأهلها فيها خالدون.

هذه الجنّة، وأمّا النار:

فقد استوحش قلبي لمجرد ذكرها.

دار أُسست للإهانة، والإذلال والتحقير والتعذيب بقدر لا يُتَخيّل، فقدرة الله العظيمة في التعذيب والانتقام تتمثل في تلك الدار التي لا وصف لها ولا لأهوالها.

ألق سمعك لكتاب الله، وتأمل جيداً في آياته لعلّك تلتفت إلى عظمة أهوال جَهنّم:

يقول الله ﷻ:

«إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً!وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا

مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ!وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[2].

(١) سورة الفرقان، ١٢، ١٣ .

(٢) سورة فاطر، ٣٦ -٣٧ .

وهناك آيات كثيرة جمعها محمد فارس بركات في كتابه: الجامع لمواضيع آيات القرآن الكريم حيث جمع الآيات التي فيها وصف جهنم في مكان واحد من كتابه من ص ٣٨٣ إلى ص ٣٨٦ فاجعلها أمامك وتأمّل فيها واسأل الله سبحانه أن يغلق عنك أبواب النيران برحمته وبحرمة محمد وآله عنده وبتوفيقه إياك لفعل الصالحات في الدنيا واجتناب المحرمات.

كما ان الشيخ محسن الفيض الكاشاني قد جمع بعض الروايات الواردة في جهنم في كتاب علم اليقين ج٢ ص ١٢٥٩.

أما آيات الجنة فأوردها بركات في ص ٣٨٧ إلى ص ٣٨٩، وذكر الشيخ محسن الفيض روايات الجنّة في ج٢ ص ١٢٣٩.

أصول الدين الخمسة

أهم ما يجب على الإنسان معرفته، والإلتفات إليه: أصول الدين الخمسة، مع تفهُّم المقصود منها والتيقّن من صحتها، وهي:

١ – التوحيد ٢ – العدل ٣ – النبوة ٤ – الإمامة ٥ – المعاد.

ومعنى كونها أصولاً للدين، أن كلّ شيء من أمور الدين إنّما يصحّ ويُقبل من المرء إذا اعتقد بهذه الأمور الخمسة، ومع عدم اعتقاده بها – كلها، أو بعضها – فانّه على خطر عظيم في الدنيا وفي الآخرة ويأتي – إن شاء الله تعالى – بيان هذا تفصيلاً.

وفائدة الاعتقاد، والتيقُّن من صحة، هذه الأمور الخمسة:

أ – إن الاعتقاد بهذه الأمور الخمسة يُسهّل على الإنسان الالتزام بالواجبات وترك المحرمات، بينما نجد أن غير المعتقد بها لا يجد سبباً يدفعه إلى الالتزام، والى إطاعة الله تعالى وتقدّس .

ب – إن الاعتقاد بها هو مفتاح الجنة، والسبب الأساس لدخولها، فهو يثمر لابُدّية إنتهاء المعتقد بها إلى الجنّة .

ج – ووفق ما تقدّم يكون غير المعتقد بها على شفا خطر عظيم قد ينتهي به حاله إلى جهنم – مع الخلود أو لمدة تناسب تقصيره –.

د – إن الاعتقاد الواحد المشترك بين الناس جميعاً والمطابق للواقع يوحّد الناس ويؤلّف بينهم وينشر المودة في علاقاتهم ويدفعهم إلى العمل الموحّد ويربطهم بالإحساس بالمصير المشترك فيساعد إذن هذا الاعتقاد على تآلف أفراد المجتمع فيما بينهم ويدفعهم إلى التآزر والعمل المشترك.

هـ – إن الاعتقاد الصحيح الواضح يُبعد الإنسان عن الخُرافات والأوهام ويدفعه إلى عدم الإيمان بكل فكرة، بل بالأمور التي عليها دليل صحيح واضح.

ولذلك نجد كثيراً من الأمم تتخبط في اعتقادات مضحكة ففي الهند يقدّسون البقر، والعرب في الجاهلية وكثير من الأقوام في هذا الزمان يعبدون حجارة يصنعونها بأيديهم، وآخرون يعبدون الكواكب، وبعض آخر يعبد الفئران، وقسم عبدوا رجالاً من قومهم، وهكذا، ونرى سلسلة هذه المهازل تطول، وأما أعمالهم وسلوكياتهم اليومية فعجيبة تدعو إلى الدهشة بسبب المستوى الضحل الذي يحيون فيه.

ثم إن بعض الأديان إهتمت بالجانب الروحي والجانب الأخلاقي للفرد، وبعضها دعا للاهتمام بالدنيا واستثمارها لصالح الفرد أيضاً، والإسلام العزيز جاء بقانون شامل لكل شؤون الحياة يقبله العقل السليم والذوق والفطرة المستقيمة ويتطابق مع واقع الحياة والعلم

الحديث، فنرى الإسلام يأمر بعبادة الله الخالق المدبر للكون وحده، ويأمر بالاتحاد، وبمساعدة الأغنياء للمحتاجين والضعفاء، وببرّ الوالدين، وصلة الأرحام، والتعارف فيما بين الناس، والاعتناء بالجار، ومعاقبة المسيء، وتكريم المحسن، وعدم الاستغلال السيء للآخرين: بأخذ الربا، واغتصاب أموالهم، والاعتداء على حقوقهم، ودعا إلى النصيحة، وإتباع القول الأحسن، ومجموع هذه الأمور، وغيرها من محاسن تشريعات الإسلام، غير متوفرة بمجموعها في أي دين آخر غير الإسلام فبعض الأديان التي فيها عدّة من التعاليم المقبولة، إلاّ إنّها أيضاً مشتملة على الكثير من المرفوض[1].

(١) وهناك فوائد كثيرة جداً تترتب على الاعتقاد بأصول الدين الخمسة، ليس هدفنا هنا ذكرها في هذا البحث المختصر، وإنّما المهم توضيح معنى هذه الأصول الخمسة لكي يسهل استيعابها.

كما ننبّه على أننا لم نذكر من المطالب العقائدية كثيراً ممّا يذكر، تفريعاً على العناوين الرئيسية كالقضاء والقدر، والجبر والاختيار، والبداء، والعصمة، وإعجاز القرآن، والرجعة وذلك لابتناء وضع الكتاب على الإيجاز والتبسيط، فكتابنا هذا مرحلة أولى للناشىء، و عليه أن يتحوّل منه إلى ما هو أوسع وأعمق، وليتصبّر عند مطالعة هذا النوع من الأبحاث، فإنها دقيقة في حدّ نفسها، وفي صيغة طرحها .

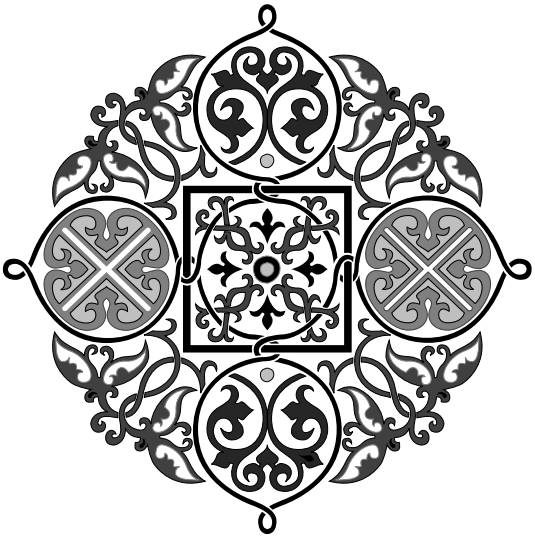

الأصل الأول: التوحيد

حينما يذكر العلماء في كتبهم العقائدية أصل التوحيد، فإنهم يُريدون منّا الالتفات إلى مجموعة أمور تشكّل بمجموعها أصل التوحيد الذي يتحدثون عنه هنا:

١ – أن نعتقد بوجود واجب الوجود: وهو الذي لا علّة لوجوده وهو علّة كل شيء، وهو الله تعالى وتقدّس .

٢ – أن نعتقد بأن الله سبحانه خلق كلّ شيء لوحده، وهو ربّ ومُدبّر أمر كلّ شيءٍ لوحده أيضاً، فلا شريك معه يساعده ويعاونه في عملية الخلق أو التدبير والربوبيّة.

٣ – أن نعتقد باستحقاقه – وحده – العبادة، فلا مستحق للعبادة سواه سبحانه.

٤ – أن نعتقد بجمعه لكل صفة كمال وَحُسْن، وهي ما يعبّر عنها: بالصفات الثبوتيّة، أو الكمالية، أو الجمالية.

٥ – أن نعتقد بخلوّه – سبحانه – من كل صفة نقص، وهي ما يعبّر عنها: بالصفات السلبية، أو الجلاليّة.

فحينما نطرح – التوحيد – كأوّل أصل من أُصول الدين فلا يُقصد

منه أن نعتقد بأن الله – سبحانه – واحد وكفى، بل أن نلتفت، ونعتقد بمجموع ما هو مذكور في النقاط الخمس المتقدمة.

كيف نحقّق التوحيد:

يتم توحيدنا للمولى سبحانه عبر:

أ – التوحيد في الذات.

ب – التوحيد في الصفات.

ج – التوحيد في الأفعال.

د – التوحيد في العبادة.

فإذا التزمنا بتوحيد الله سبحانه في هذه الجهات الأربع فقد حققنا التوحيد الواجب علينا الالتفات إليه، والتزامه، واعتقاده، وما يترتب عليه من سلوك، فان المرء قد يعترف بالتوحيد لساناً، غير أنّ ممارسته السلوكيّة تكشف عن عدم إيمانه بل قد تكشف عن إشراكه أو عن التزامه بما فيه شائبة شرك أو لا أقل تكشف عن إشراك خفيّ فيه – كما يعبّر عنه – .

– التوحيد في الذات :

أي: إن الله سبحانه – الذي لم يخلقه أحد، ولا أوّل لوجوده، ولا آخر لوجوده، وهو الخالق لكل شيء، والمدبر لأمر كل شيء، والمسيطر والمهيمن على كل شيء، والذي له كل صفة حُسن وكمال، والذي لا

تلحقه صفة نقص أبداً-: واحد.

فلا مثيل له في ساحة الوجود، ولا يمكن أن يظهر له مثيل، إذ كل شيء له تحقق وتشخص في الخارج فهو مخلوق لله ومقهور تحت سلطانه وإرادته، بل إن كمال كل موجود، وسعادة كل موجود، تتحقق بشدّة عبوديته وخضوعه لله سبحانه، فكلّما يزداد الممكن طواعيةً لله سبحانه وسيراً طبق إرادته فانه يعلو على أمثاله في مراتب الكمال .

- التوحيد في الأفعال:

علينا أن نعتقد ونتيقن ونجزم أن ليس لله سبحانه شريك في فعله وخلقه، فهو سبحانه غير محتاج لأحد وغنيّ عن كل احد، ولم يُشاركه أحد في فعله، ولن يشاركه أحد أبداً.

وأمّا الأفعال التي تصدر من غيره، فانّه سبحانه هو الذي أقدرهم عليها وأمدّهم بالحياة والطاقة والإمكانيات لفعلها، وليس في ساحة الوجود كلّها من استمد حياته أو قوّته أو إمكانياته من غير الله سبحانه، كما ليس هناك أحد بقادر على الاستغناء عن المدد الإلهي والعطاء الإلهي لحظة أو أقلّ، فان كل من يسلبه الله سبحانه عطاءه وفيضه وهبته فانّه ينتقل إلى العدم مباشرةً، ومن أخذ الله منه شيئاً معيناً فإنّه لا يستطيع التعويض عنه بنفسه، أو من غيره، إلا أن يردّ الله - جلّ وعلا- عليه نعمته.

وقد بنى الله سبحانه نظام الحياة الدنيا على تسلسل الأسباب والمسببات، فما من شيء إلاّ ولـه سبب حتى تنتهي جميع سلاسل الأسباب إليه سبحانه.

فهو سبب الأسباب بأجمعها وليس هناك من سبب أساس في الكون غيره أبداً.

- التوحيد في العبادة:

أن نعتقد ونجزم أن ليس في ساحة الوجود كلها من يستحقّ العبادة غير الله سبحانه لأن الله سبحانه خالق كل شيء، ورازق كل شيء، ومالك كلّ شيء، فهو أصل الوجود، ومدبر الوجود، والمتفضّل على كل ما في الوجود فليس في الوجود من يستحق طاعتك وعبادتك وحبّك غيره سبحانه.

- التوحيد في الصفات:

على كل إنسان أن يعرف الله جلّ وعلا.

إلا أن معرفته سبحانه بنفسه، والإطلاع على حقيقته، من الأمور المستحيلة، وهذا ليس بغريب إذ أننا لا نعرف أكثر المخلوقات وحقائقها وتفاصيل شؤونها مع قربها منها، ولـو اطّلعنا على شـؤون أبسط المخلوقات وحاولنا التدقيق في حقيقته، وتفاصيل حياته، لرأينا تعقيداً شديداً وغموضاً، يجعلنا نقف حيارى عاجزين أمام أكثر ما يتعلّق به،

فكيف الحال في خالق الأكوان والموجودات جميعا.

إلا أننا نستطيع التعرّف على صفاته سبحانه وتعالى.

وطريق التعرف على صفاته جهات عدّة، سأسردها لك لاحقاً.

الله تعالى: لمّا أحبّ منّا أن نتعّرف عليه من جهة صفاته فقد وفّر لنا طرقاً متعددة وأدلّة لا تعدّ ولا تحصى على تلك الحقائق بحيث لا يبقى للإنسان أي عذر لو أخطأ الطريق إلاّ إذا كان المرء في قصور فكري عال.

وأُذكّرك بشيء قبل أن نبدأ:

إنّ الله سبحانه جعل عذاباً عظيماً هائلاً لا نهاية له، لمن كفر به وجحده، ولمّا كان الأمر كذلك، وبما أنّه أرحم الراحمين، فقد جعل أدلّة لا حصر لها ترشد الإنسان إلى العقيدة الصحيحة، والى التعرّف على ما يريد الله تعالى منّا معرفته مما لا نقع معه في الكفر والجحود، كي لا نستحق ذلك العقاب الهائل.

والرجاء منك: أن تهتم لهذه العقائد والمعارف، فان اعتقادك إيّاها لا يكلّفك الكثير، كما إنّ اعترافك بها وتمسّكك بها يصححّ لك إسلامك، وينجيك من خطر العقوبات الإلهية، والتي هي موجودة في حياتنا الدنيا، كما قد تصادف المرء عند الموت والقبر والقيامة ثم النار الكبرى التي لا يموت من فيها ولا يحيا أعاذنا الله وإياكم من كل سخطه

وعقابه بأيّ مقدار كان فإن من لا يتحمّل حرّ الدنيا ولسع البعوض ومضايقة الذباب كيف يتحمل عقاب الله وعذابه والذي لا تقوى عليه السماوات والأرضون ومن فيهنّ.. فالحذر، الحذر، فإنّ الله سبحانه لم يُعطِ أماناً لأحد من خلقه من عذابه لو عصاه.

ولنبدأ:

ذكر العلماء الأكارم:

إن هناك صفات يجب علينا أن نثبتها لله -جلّ وعلا- وان نعتقد ونتيقن ونجزم باتصافه بها، ويسمونها: الصفات الثبوتية، أو الكمالية، أو الجمالية.

وهناك صفات يجب أن ننفيها عن الله سبحانه، وننزّهه عنها، ونجزم بعدم اتصافه بها، ويسمونها: الصفات السلبية، أو الجلالية.

وطريق التعرف عليه سبحانه عن طريق معرفة صفاته المقدسة،ويحصل هذا:

أ - من خلال التأمل في الكون ومخلوقات الله سبحانه والتي لا تعدّ ولا تحصر ولا تنتهي، بل عملية الخلق والفيض والعطاء الإلهي مستمرة إلى ما لانهاية، ومن خلال التأمل والتدقيق في القوانين التي يسير الكون كلّه ضمن مدارها وتيّارها نتعرّف على الله سبحانه أكثر فأكثر.

وقد وجّه الله سبحانه عباده من خلال القرآن العزيز إلى معرفته عن هذا الطريق ولذلك نرى كثيراً من الآيات الكريمة تحثّ على التأمّل في مخلوقات الله سبحانه بل تعطينا أمثلة كثيرة في هذا المجال.

ب - التعرّف على الله سبحانه من طريق الأنبياء والمرسلين، والذين هم أنزه أفراد المجموعة البشرية وأكثرها وعياً وزهداً وإعراضاً عن زخارف الدنيا، وبعداً عن طلب المغانم والمصالح الذاتية.

وقد أخبر الأنبياء والمرسلون أنهم على صلة بخالق الوجود، وقد صدقهم الله سبحانه وأثبت صحة كلامهم عن طريق تأييدهم بالمعجزات الربّانية وإجراء الكرامات على أيديهم ومعاقبة من كذّبهم وآذاهم.

وعلى أساس صلة الأنبياء بالله تعالى: فقد أخبرنا الأنبياء - عن الله سبحانه - بحقائق الوجود وكيفية ابتداء الخلق وكيف سينتهي والى أين سيكون مصير الناس، وممّا أخبروا به: المعارف الإلهية وصفات الله سبحانه، فعلينا تصديقهم وأخذ هذه المعارف منهم والتمسك بها وهي أقصر الطرق لمعرفة الله سبحانه وأصحّها وأسلمها وأبعدها عن الانحراف والضلالات.

وممّا يصبّ في نفس اتجاه الطريقين المتقدمين كثرة المطالعة في الكتب العلمية والتي تفتح للمرء آفاقاً على عجائب الخلقة ولطيف صنع الله

تعالى مما يزيد الإنسان معرفة وإيماناً بربّه المتعال.

فأكثِر من الإطلاع والتأمل في القرآن العزيز، وسنّة النبي والزهراء والأئمة المعصومين الاثني عشر صلوات الله عليهم وسلامه، وفي كتب العلماء المختصّين في علم العقيدة الإسلامية.

كما انصح: بالإطّلاع على كتب: الفلك، والطب، والأحياء، والكيمياء، والفيزياء، وغيرها من العلوم التي تزيد الإنسان بصيرة ووعياً في هذا الجانب بل إنني أعتقد أن كل العلوم تُوصل إلى الله سبحانه وتزيدنا معرفة به وإيماناً وبصيرة بصفاته المقدسة.

غايتها: على المرء الإطلاع على ما يستطيع هضمه وفهمه بحسب قابلياته، كما عليه أن يُلاحظ طبيعة الكتاب الذي يقرأه، والعالم الذي يقرأ له، فليست كل الكتب مما يناسب إنسان هذا العصر وطبيعة تعامله مع المعارف.

فان هناك كتباً أُلفت للمختصين في تلك العلوم فلا يستطيع كل احد استيعاب مطالبها ومضامينها.

وتوجد كتب أخرى أُلّفت لكافّة الناس وعلى اختلاف قابلياتهم، ويستطيع كل أحد الاستفادة منها.

ولعل من أنسب الكتب في العقيدة الإسلامية – في أيامنا هذه – كتاب: دروس في العقيدة الإسلامية، للشيخ محمد تقي مصباح اليزدي،

وهو في ثلاثة أجزاء صغار.

الصفات الثبوتية

من خلال التأمل في الموجودات، وقوانين الخلقة، نتوصل إلى وجود وثبوت مجموعة من الصفات لله سبحانه، وقد أكّد سبحانه في كتابه العزيز ثبوت هذه الصفات له، كما أكدها المعصومون من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

والأساس في الصفات الثبوتية: أن نُثبت كل كمال وكل صفة حُسن بأعلى مرتبة لله سبحانه.

و الصفات الإلهية هي:

١ – الحياة: فالله سبحانه حيٌّ دائماً.

٢ – القدرة: هو سبحانه قادر على كل شيء.

٣ – العلم: هو جلّ وعلا عالم بكل شيء.

٤ – الغِنى: فالله سبحانه غنيّ عن كل شيء ولا يحتاج لأحد أو لشيء أبداً.

٥ – السرمديّة: الله سبحانه أزليّ سرمدي لا أوّل له ولا آخر فهو موجود دائماً وأبداً.

٦ – العدل: هو سبحانه عادل لا يظلم أحداً أبداً.

٧ – السمع، البصر: الإدراك: أي هو سبحانه يسمع كل شيء،

ويُبصر كل شيء، أي هو سبحانه مدرك لكل شيء، فلا يخفى عليه شيء، صَغُر أو عَظُم.

٨ – التكلّم: أي هو سبحانه متكلّم، لكن لا بواسطة حاسة ولسان وفم كما في الإنسان.

٩ – الإرادة والكراهة: أي له سبحانه إرادة وكراهة فيأمر عباده وينهاهم.

١٠ –الصدق: فهو –تبارك وتقدس– صادق أبداً، وكلامه مطابق للواقع ولا يخالفه مطلقاً .

الصفات السلبية

وهي الصفات التي ننفيها عن الله سبحانه وننزّهه عنها لأنّها صفات نقص بالنسبة له سبحانه وإن كانت تناسب غيره من مخلوقاته جلّ وعلا.

وقد دلّ العقل على واقعية هذا التنزيه وأيّده القرآن والسُنّة.

١ – نفي الجسميّة عن الله سبحانه.

٢ – نفي إمكانية رؤيته –تعالى وتقدس– في الدنيا أو الآخرة.

٣ – نفي وجوده –تعالى– في مكان، أي هو سبحانه غير متحيّز.

٤ – غير حالٍّ في غيره: وقد التزم بالحلول بعض المنحرفين والجاهلين بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، وهم بعض المتصوفة المدّعين

للمقامات الكاذبة.

٥ – غير متّحد في شيء: وقد التزم بالاتحاد النصارى المنحرفين عن خط التوحيد وهو خط الرسالات الإلهية جميعها، وما عيسى وأمّه سوى عبدين من عباد الله سبحانه أطاعا الله، فأكرم عيسى بالنبوة، ومريم بولادتها لعيسى من غير زوج، إلا أنهما لم يخرجا عن حدود الإنسانية وغاية فخرهما أنّهما عبدان للخالق المتعال.

٦– انه –سبحانه– غير مركب .

٧– غير متغير .

٨– لا شريك له .

والقاعدة في مبحث الصفات السلبية: نفي كل نقص، وكل شبه، بين الله وبين أحد من خلقه بأيّ وجه من الوجوه.

ولا يخفى إن موضوع: التوحيد والصفات الإلهية، من أدّق مباحث المعارف الإلهية، فنختصر الحديث عنه هنا ونكتفي بهذا المقدار، ومن أراد التوسعة وزيادة البيان فليرجع إلى كتاب «دروس في العقيدة الإسلامية» للعالم المجاهد محمد تقي مصباح اليزدي ففيه البُلغة، والكفاية، كما إنني بصدد إكمال كتابي «التوحيد» المعدّ لبيان هذه المطالب بشكل أبسط وأوسع، وان شاء الله تعالى يتحقق فيه البسط والإيضاح والفائدة.

ومن أهم القواعد التي على المرء الالتفات إليها لمعرفة الله سبحانه

بشكل أصح وأفضل هي:

انه سبحانه لا يشبه خلقه أبداً في أية جهة من الجهات.

وقد ورد عن المعصوم: «**فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه**»[1].

بل نصّ القرآن العزيز على هذا، إذ قال -جَلَّ وعلا- عن ذاته المقدّسة:

﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[2].

والآن بعد أن بيّنا بعض الصفات الإلهية التي يذكرها المختصون في علم العقيدة الإسلامية:

لو نراجع الكتاب والسُنّة نجد الله سبحانه يصف نفسه بأوصاف كثيرة من خلال أسمائه الحسنى المباركة - وهي معبّرة بلا ريب عن أوصافه المقدّسة - إلاّ أن وجود هذه الأوصاف فيه ليست على نحو وجودها في عباده ومخلوقاته بل على نحو آخر، لا يتحمّل هذا الكتاب التوسعة فيه، بل الأفضل أن نلملم أطراف الموضوع، فنقول:

إن الله سبحانه واحد من كل جهة، وكثرة صفاته لا تلغي وحدانيته تعالى وتقدّس بل تؤكدها.

---

(١)الأصول من الكافي، الشيخ الكليني، ج١، كتاب التوحيد، الباب الثاني، الحديث الأول.

(٢) سورة الشورى، الآية١١.

فإننا إذا نظرنا إلى الإنسان لرأيناه شخصاً واحداً وفي نفس الوقت هو كائن معقّد التركيب فهو متكوّن من مليارات الخلايا والأجزاء الصغيرة والتي تشكّل بمجموعها وترابطها هذا الشخص الواحد، كما إنّه من روح وجسد ومع ذلك هو شخص واحد، وهو من لحم وعظم ودم وجلد وأحشاء كثيرة مختلفة ومع ذلك هو شخص واحد، وهكذا بقيّة المخلوقات فكل فرد فيها هو كائن شديد التعقيد فهو في عين كونه واحداً فكذلك هو مركّب مما لا يُحصى من الأجزاء، والتي تشكل بمجموعها وجوده الواحدي، والله - جَلّ وعلا - ليس هكذا فهو بسيط من كل جهة ولا تركيب فيه، وواحد من كل جهة ولا تؤثر كثرة صفاته في واحديته بعكس مخلوقاته إذ هو لا يشبه شيئاً منها في أيّة جهة من الجهات تبارك وتعالى وتقدّس.

والمقام من مزالّ الأفكار والأقدام طَرْحاً وأخذاً فيحسن التوقف عند هذا فعلاً والتسديد من الله سبحانه للطرفين.

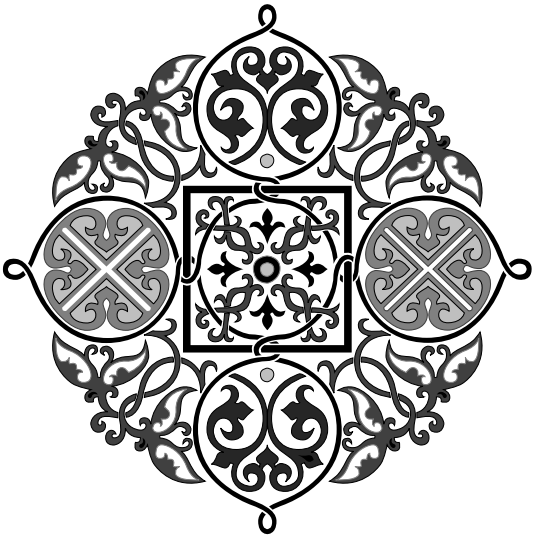

الأصل الثاني: العدل

أي: إن الله تعالى وتقدّس عادل لا يظلم أحداً أبداً.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿إِنَّ اللهَّ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

وقال الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ اللهَّ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾[2].

وفي الحقيقة إن هذا الأصل إنّما هو مندرج في الصفات الإلهيّة ، وإنّما يُذكر بشكل مستقل لما له من أهمية تاريخية بسبب مواقف بعض الفرق الإسلامية منه، ممّا دعا الشيعة الاماميّة الاثني عشرية – زاد الله تعالى في تأييدهم – إلى التأكيد على هذا الأصل، لتثبيت العدل المطلق لله سبحانه وتعالى وتأكيده.

وما الذي يدعو الله تعالى إلى الظلم؟

إن الذي يظلم:

إما لجهله بأنّ ما يفعله ظلم.

---

(١) سورة يونس، الآية ٤٤ .

(٢)سورة النساء، الآية ٤٠.

أو لحاجته إلى الظلم.

والله تعالى عالم بكل شيء، وغير محتاج إلى شيء، وهو غني عن العالمين، بل هو أرحم الراحمين، وهو يحب الطاعة من عباده، ويكره المعصية، ويعطي الأجر الجزيل على العمل القليل، وقد قال الإمام علي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام في دعائه المسمّى بدعاء كميل مخاطباً الله تعالى:

«فبالیقین أقطع لولا ما حكمت به من تعذيب جاحديك وقضيت به من إخلاد معانديك لجعلت النار كلّها برداً وسلاماً وما كان لأحد فيها مقراً ولا مُقاماً» .

فالله تعالى هو موضع الرحمة، وهو موضع الكرم، وهو موضع قضاء الحاجات، لا يظلم أبداً، بل يُعاقب عباده على بعض ما يستحقونه، مقابل أعمالهم السيئة، ويعفو عن كثير من جرائمهم.

إن الله تعالى يُفيض على عباده في الآخـرة بحسب جهودهم وتضحياتهم وطاعتهم في الدنيا، فلا قرابة بين الله تعالى وبين أحد من خلقه، بل حُبّه لأحد من عباده وتكريمه له على حسب عمله، فصاحب العمل الخالص لله تعالى والأفضل هو الأفضل يوم القيامة.

أما في الدنيا فالدنيا دار ابتلاء واختبار وامتحان، فبعض الناس توصلهم جهودهم إلى مراتبهم ومستوياتهم التي هم عليها، وبعض

آخر تحول بينه وبين ما يروم أسباب وموانع، وعموماً فان الله تعالى يمتحن كل إنسان بجهة، فواحد يمتحن طاعته وإيمانه من خلال الفقر، وآخر من خلال الغنى، وآخر من خلال الصحة، وبعضٌ من خلال المرض، وهكذا، ولكن علينا الالتفات دائماً في أمور الدنيا والآخرة إلى هذه الآية:

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[1].

ولنعلم إن الله تعالى مع عدله في الدنيا والآخرة هو ذو رحمة واسعة، وقد وصف نفسه بأنه أرحم الراحمين، بل أوّل كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيّه، ونبّه به خلقه:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

فلم يذكر الله تعالى هنا من صفاته غير الرحمة، وهذا مما يوجب علينا عدم اليأس من رحمته، ومن فرجه، مهما بلغت ذنوبنا - نستجير بالله تعالى من كل ذنب صغير وكبير - ومهما واجهتنا المصاعب والمشاكل والفتن والبلايا، فان الله تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد، وهو قادر على كل شيء وهو ربّنا، وهو أرحم الراحمين.

فماذا ننتظر من ربّنا غير الرأفة والرحمة والكرم، وهو الذي غرس في عباده الرحمة والكرم، بل إن رحمة الله تعالى ستشمل الكثير من خلقه

(١)سورة النجم الآية ٣٩.

العُصاة يوم القيامة، ومن المستحقين لدخول النار، فسيشملهم بكرمه ورأفته ورحمته، ويعفو عنهم، ويجعل مأواهم الجنة، والله ذو الفضل العظيم.

فالمطلوب: أن يكون الإنسان المؤمن متيقناً من عدل الله سبحانه وأنّه – سبحانه – لا يظلم أبداً.

نعم، على المرء كذلك –مع ملاحظته لذنوب نفسه– أن لا ييأس من رحمته سبحانه أبداً لأنّه وعد عباده بأنّه سيغفر ويرحم ويتجاوز عن بعض الذنوب لبعض الناس، فعليه أن يرجو تحصيل بعض هذه الرحمة وشموله بها، وليدعُ الله سبحانه بالعفو والمغفرة لشموله بهذه الرحمة، وإلاّ فالمولى سبحانه لم يُعطِ وعداً لأحد بأنّه سيغفر له ذنوبه حتماً حتى نعتمد ونتكل على هذا الوعد، ونذنب مهما شئنا – والعياذ بالله – .

وكذلك – أيضاً– على المرء مع ملاحظته لأعماله الحسنة، ولكثرة طاعته لله تعالى، أن لا يغترّ بنفسه وبعمله، فان المولى سبحانه لم يقل لأحد: إن عملك مقبول على كل حال، فلعلّ المولى لا يقبل هذه الأعمال لسبب من الأسباب، وهي كثيرة، فعلينا مراقبة أنفسنا دائماً، والعمل بإخلاص باستمرار، وتصحيح نيّتنا وأعمالنا وسلوكنا دائماً، فلا نأمن مكر الله سبحانه وعقابه، والخطر من جهته، فهو – تعالى وتقدّس – يستدرج بعض عباده، ويخادعهم، ويمكر بهم، وكل هذا بسبب بعض

الأعمال التي ارتكبوها والعياذ بالله سبحانه، فليلتفت المرء لنفسه لئلاّ يكون منهم.

والواقع: إن المطلوب من المؤمن أن يكون هكذا دائماً:

متيقّنٌ من عدل الله سبحانه، غير يائس من رحمته.

ولا آمن من مكره.

بل يكون بين بين.

في رجاء لرحمة الله وعفوه وفرجه، وفي خوف من مكره واستدراجه وعذابه..

هكذا دائماً: بين الخوف والرجاء.

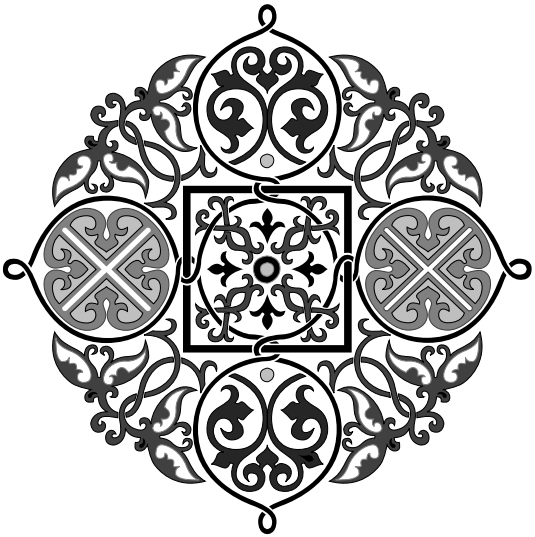

الأصل الثالث: النبوة

أن نعتقد: إن الله عز وجل، أرسل إلى عباده أنبياء يبلّغونهم أوامره وإراداتـه ويرشدونهم إلى السلوك الصحيح والعقيدة الصحيحة مما تكون به حياتهم مستقرة وسعيدة، ولئلا يقع بين البشر التقاتل والتنازع والفساد.

قال الله سبحانه مخاطباً النبي محمد ﷺ:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً .وَدَاعِياً إِلَى اللهِّ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً!وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهَّ فَضْلاً كَبِيراً»[1].

وأوّل إنسان خلقه الله تعالى قد جعله نبيّاً، وأرشـده إلى الحياة المستقيمة والسعيدة والتي تؤديه إلى الجنة في يوم القيامة، وأمره بإرشاد ذريته، وزوجته، وهو آدم عليه السلام أبو النوع البشري.

وآخر نبيّ أرسله الله تعالى وخاتمهم: «محمد بن عبدالله»، سيد الأنبياء والمرسلين، بل سيد الكائنات كلها لأنّه أفضل مخلوق خلقه الله تعالى.

وأما العدد الكلي للأنبياء والمرسلين فالمشهور أنهم «١٢٤,٠٠٠»

---

(١)- سورة الأحزاب، الآيات ٤٥ ٤٧.

مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، منهم من جاء ذكره في القرآن والسُنّة، ومنهم من لم يُذكر باسمه الصريح الواضح.

فمن المذكورين: نوح وموسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام وهم بالإضافة إلى النبي محمد ﷺ أفضل أنبياء الله تعالى ونسميهم «بأُولي العزم».

والأنبياء جميعاً معصومون، من أول حياتهم إلى آخرها.

فعلينا الاعتقاد بهم جميعاً، لأنّ مَنْ أنكر نبوّة نبي واحد، فهو كافر.

وفي الحقيقة: إن أكثر الناس لم يلتزموا بدعوات الأنبياء ورسالاتهم وإرشاداتهم، بل قاوموهم وقاتلوهم وقتلوا بعضهم، وكل هذا الفساد العظيم والتقاتل في الأرض، بسبب حب الدنيا، والتنافس على الجاه، وعدم الإيمان حقيقة بوجود يوم للمعاد- وان أظهر البعض إيمانه به لساناً- أو لضعف الإيمان به، ذلك اليوم الذي يُجازى فيه المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءَتِهِ، ولكن ماذا سيفعل هؤلاء عندما يناديهم الله تعالى يوم القيامة:

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾[1].

وهذا سؤال علينا نحن أيضاً تهيئة جوابه، وإن شاء الله تعالى يكون جوابنا محبوباً عند الله تعالى مرضيّاً.

---

(١)سورة القصص، الآية ٦٥.

ثم علينا: أن نعتقد بصحة الدين الإسلامي الذي دعا إليه النبي محمد خاتم المرسلين ﷺ، وهذا الأمر والاعتقاد فرعٌ عن إيماننا بنبوة محمد ﷺ وتصديقنا بأقواله وعلينا التدين والالتزام بأحكام وقوانين الدين الإسلامي، قال الله سبحانه وتعالى:

«وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

وعلينا الإيمان بأن القرآن الكريم هو كتاب الله سبحانه أنزله على حبيبه ونبيّه محمد ﷺ ليكون مناراً وهادياً للبشرية في حياة نبيّه، وبعد رحيله عن الدنيا، والهدف الأساس لوجود هذا الكتاب العزيز هو مراجعتنا له، وتفهمنا مضمونه، ثم الالتزام بما فيه من أوامر وإرشادات، والاستفادة من نصائحه وتوجيهه، كي نسْعُد في حياتنا، ويستقيم سلوكنا، ونفوز في آخرتنا، ونكون هُداة للآخرين، بفضل التزامنا بأوامر القرآن العزيز.

غير أنّ أكثر الناس جعلوا القرآن العزيز للبركة، أو لفائدة حفظهم به من الأخطار والمساوئ، وهو للبركة والحفظ ولغير هذين من الأغراض الشريفة، إلا أنّ هذه غايات ثانوية للقرآن، والغرض الأساسي:

مراجعته وتفهمه والعمل به.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾.

أما الأديان الأخرى كالمسيحية واليهودية –وهي أديان سماوية قبل الدين الإسلامي – والكتب السابقة – كالإنجيل والتوراة – فقد انتهى زمن العمل بها، إذ نَسَخَها وَأَوْقَفَ العمل بها:

إرسال الله تعالى لنبيّه محمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء، بآخر الأديان وهو الإسلام، وبآخر الكتب وهو القرآن.

فالشريعة الإسلامية هي الخاتمة للشرايع كلها، وهي شريعة هذا الزمان، وكل الشرايع قد انتهى وقت العمل بها، والإسلام هو دين الله الوحيد إلى يوم القيامة.

وقد قال النبي ﷺ:

«حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة»[1].

وكل من لا يؤمن بالإسلام فهو كافر مستحق للنار وللخلود في جهنم، ولا تشمله رحمة الله، ولا شفاعة محمد ﷺ ولا عيسى ولا موسى، ولا مريم، ولا فاطمة، ولا ملائكة الله تعالى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) الأصول من الكافي، الشيخ الكليني، ج١ ص ١١٠، الباب ١٩ من كتاب فضل العلم ح١٩.

وما يخص عيسى:

أنّه عبد الله ونبيّه أرسله إلى عباده فآمن به القليل وكفر به الأكثر وحاولوا قتله فرفعه الله تعالى إليه وأنقذه.

وبالنسبة لمريم: فهي امرأة مؤمنة صدّيقة طاهرة، أكرمها الله سبحانه من بين نساء الدنيا كلّها، بأن رزقها ولداً من دون أن تتزوّج، وهذا الولد هو عبدالله ونبيّه عيسى عليه السلام.

فعيسى وأمّه: من عباد الله، وخلقه، ومن أطوع الناس لأوامر الله، بل أعظم شرفهما أنّما هو عبوديتهما المطلقة لله سبحانه، وقد دعا عيسى عليه السلام طيلة حياته إلى توحيد الله والى عبادته والى إطاعته.

أما ما يعتقده المسيحيون في عيسى وأُمّه من اعتقادات سخيفة ومنحرفة، بقولهم: إن عيسى ابن الله أو انّه إله يستحق العبادة أو غير هذي من الأقوال، فهذه من الخرافات والخزعبلات، وهي اعتداء على قدس الله سبحانه، وضلال، وخلاف الواقع.

وكون عيسى وُلد من غير أب: فآدم خلقه الله من دون أب وأُم.

وأما إحياؤه الموتى وصدور بعض المعجزات عنه.

فانّ المعجزات صدرت من كل الأنبياء وأحيا بعضهم الأموات، وفعلوا أغرب مما صدر من عيسى عليه السلام وكل هذا بقدرةِ الله، وبفضل منه، تكريماً لأنبيائه، وتبصيراً لعباده، وهداية لهم، وعيسى غير محتاج لأن

تُنسب إليه هذه العقائد السخيفة – أي انّه ابن الله تعالى، أو أنّه مستحق للعبادة – إذ لا ولد لله.

قال تعالى:

«قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ! لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ» .

كما إن الله يغضب غضباً عظيماً على مَن يتفوّه بهذه الأقوال الكفريّة وعلى من يعتقد بها ويعذّبه بأعظم العذاب.

إذن: النبي محمد آخر الأنبياء.

والإسلام: آخر الأديان.

والقرآن: آخر الكتب.

وعلى كل أفراد النوع البشري في أرجاء العالم كله الاعتراف بمحمد ﷺ والإسلام والقرآن، وإلاّ فهم كفّار.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية ٨٥ .

الأصل الرابع: الإمامة

أن نعتقد: أن الله تعالى نصّب بعد النبي محمّد ﷺ - أئمة وأوصياء:

١ - لحفظ الشريعة بعد وفاة النبي ﷺ كي لا يدخلها التحريف، وليقوموا بإيصالها إلى الأجيال الجديدة.

٢ - ولاستلام زعامة المسلمين ورئاستهم وهو الذي نصطلح عليه - بالخلافة - كي يُديروا شؤون الأمة الإسلامية وفق الشريعة الإسلامية، ويُدافعوا عن حدود الدولة الإسلامية، وينشروا الإسلام في العالم.

وهم معصومون من كل خطأ، ومن كل معصية طيلة حياتهم، فعلينا إطاعتهم إطاعة مطلقة.

وقد قال النبي ﷺ في حقهم:

«إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غَرِقَ»[1].

وقال النبي ﷺ أيضاً:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى

(١) المراجعات، السيد شرف الدين، المراجعة ٨، وذكر إخراج الطبراني له في الأوسط.

يردا عليّ الحوض»[1].

وهم اثنا عشر إماماً علينا التعرف عليهم:

١ – الإمـام أمير المؤمنين: علي بن أبي طالب ومدفنه النجف الأشرف.

٢ – الإمام السبط المجتبى: الحسن بن علي بن أبي طالب: البقيع، المدينة المنورة.

٣ – الإمام السبط سيد الشهداء: الحسين بن علي بن أبي طالب: كربلاء المقدسة.

٤ – الإمام السجاد زين العابدين: علي بن الحسين: البقيع، المدينة المنورة.

٥ – الإمام الباقر: محمد بن علي: البقيع، المدينة المنورة.

٦ – الإمام الصادق: جعفر بن محمد: البقيع، المدينة المنورة.

٧ – الإمام الكاظم: موسى بن جعفر: بغداد

٨ – الإمام الرضا: علي بن موسى: مشهد، إيران.

٩ – الإمام الجواد: محمد بن علي: بغداد

١٠ – الإمام الهادي: علي بن محمد: سامراء، العراق

(١) المراجعات، السيد عبدالحسين شرف الدين، المراجعة ٨، وقد نقله عن مسند احمد بن حنبل، وذكر إخراج الطبراني له في معجمه عن زيد بن ثابت والمتقي في كنز العمال الحديث ٨٧٣.

١١ – الإمام العسكري: الحسن بن علي: سامراء، العراق

١٢ – الإمام المهدي: محمد بن الحسن: حيّ يُرزق

هؤلاء هم الأئمة الاثنا عشر يجب علينا محبّتهم وإطاعتهم ونصرتهم وان نفديهم بأموالنا، وأنفسنا، وأهلينا، لأنهم سادات الناس في الدنيا، وخلفاء الله تعالى في الأرض، وهم الشفعاء يوم القيامة، فعلينا إعلان موالاتنا لهم، ومتابعتهم، ونصرتهم، ومعاداة أعدائهم.

وإمام زماننا: هو الحجة القائم صاحب الزمان «محمد بن الحسن العسكري» وهو الملقّب بالمهدي وهو حي يرزق موجود فيما بيننا، إلا أننا لا نعرف شخصه لو رأيناه، وعمره الآن أكثر من ألف عام، إلا أنّ من يراه لا يقدّره بأكثر من أربعين سنة.

وسبب غيبته: انّه هو الذي أعدّه الله تعالى لتغيير النظام العالمي، وإزالة الظلم والجور ونشر العدل والإسلام في أرجاء الكرة الأرضية.

ولما كان بهذا القدر العظيم من الخطورة على الأنظمة الحاكمة في العالم، فمن الطبيعي أن تقاومه هذه الأنظمة، وتحاول قتله، والتخلص من هذا الخطر المحدق بها، فالإمام عليه أفضل الصلاة والسلام لا يُعلن شخصه للناس، حتى تتهيأ الظروف للنصر، بسحق الطواغيت، والدول المتجبّرة التي يعتلون عروشها.

نعم يظهر الإمام – سلام الله عليه – لبعض الناس بين آونة وأخرى،

ويعلن لهم شخصه، ويدلّهم على المنافع التي تعود لهم بالخصوص، أو للأمة الإسلامية عموماً، حسبما تقتضيه المصلحة والحكمة، وقد نقلت الكتب كثيراً من هذه الحوادث وفي كتاب «النجم الثاقب» تأليف الشيخ حسين النوري مائة حكاية عن أُناس التقوا الإمام عليه السلام في فترات مختلفة ابتداءً من أيام ولادته المباركة والى سنوات خَلَت، وعن أُناس التقوه الآن، أي: في زمن قريب جداً، وقد جالسوه، وحادثوه، وفازوا بما حُرِم منه الناس.

إنّ علينا الآن: انتظار يوم ظهوره، وهو قريب جداً – إن شاء الله تعالى – وان نستعد له بالعمل الصالح، وبكل ما يُرضي الله سبحانه، وان نتذكره دائماً، ونذكّر به الآخرين، لأن بتذكره حياة قلوبنا، واستقامة سلوكنا.

بقي أن نذكر: سيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء – صلوات الله وسلامه عليها – بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوجة أمير المؤمنين عليه السلام، وأُم الأئمة المعصومين عليهم السلام.

وقد توفيت بالمدينة ودفنت فيها إلا انّه لا يُعلم قبرها بالدقة إلى الآن، وهذا من عجائب تاريخ المسلمين.

وقد عانت هذه المرأة الطاهرة التي ورد في الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله إن الله تعالى يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، عانت الآلام

الشديدة بعد وفاة سيد الأنبياء ﷺ فبقيت مريضة بسبب عدوان عليها بالضرب والعصر بباب البيت وبإسقاط جنينها حتى توفيت بعد أبيها بأقل من ثلاثة اشهر ودُفنت سراً، ودفنها في السر يكشف للمسلمين قصتها، والعدوان الذي وقع عليها، ويفضح الذين تسببوا في مصائبها، وينبه أهل الديانة والفكر والعقلانية إلى حقيقة ما جرى في الأمة بعد استشهاد النبي الأعظم ﷺ فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

إن الإمام: خليفة الله في الأرض، وهو خليفة رسول الله ﷺ في أمته، فهو القائم مقام النبي في المجتمع، غير انّه ليس بنبيّ، والذي نصّبه في هذا المقام هو الله سبحانه، أما دور النبي ﷺ في هذا التنصيب فهو دور المبلّغ، إذ عليه تبليغ الناس بأن الله سبحانه قد عيّن هؤلاء الأبرار خلفاء من بعده، فعلى الناس أخذ الدين منهم، وإطاعتهم في كل شيء مهما كان، ومن الواضح أنهم لا يأمرون إلا بما يأمر به الله ويريده.

علينا محبة الأئمة وتقديمهم في الحب والطاعة والنُصرة والفداء على جميع الناس مهما كانت منزلة هؤلاء الناس عندنا وقربهم منّا.

كما يلزمنا معاداة من يُعادي الأئمة، ويبغضهم.

المعصومون الأربعة عشر: نبيّنا محمّد ﷺ وفاطمة الزهراء، وعلي أمير المؤمنين، والحسن المجتبى، والحسين الشهيد، وعلي السجاد، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد

الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري، ومحمد المهدي.

هم خير أهل الأرض، وهم الأمناء على الإسلام، والمدافعون عنه، والمضحّون في سبيله، وَكما أنّهم هكذا، فكذلك هم قد بذلوا الجهود العظيمة في هداية الناس، ونقلهم من مستواهم الفكري والحياتي الجاهلي إلى مراتب أسمى بحيث أصبحت الأمة الإسلامية خلال سنوات قليلة مركز إشعاع للعالم كلّه وانتشر الإسلام في مساحة واسعة من الأرض بالرغم من كل المؤامرات التي تُحاك ضدّه، ومن كل المصائب التي أُصيب بها أئمة الإسلام وأتباعهم من المؤمنين الحقيقيين.

فعلينا السير على خطى الأئمة الأبـرار، والاستمرار في السير لتحقيق أهدافهم التي حال الظالمون والطُغاة دون تحقيقها، وعلينا قبل كل هذا أن نلتزم بأوامرهم ونواهيهم في زمن الغيبة، والالتزام في هذا الزمان له ثواب أكبر، كما أنّه سبب لتحقيق الارتباط ولتقويته مع الله سبحانه ونبيّه الكريم والأئمة الأبرار، ومع إمام زماننا هذا:المهدي أرواحنا له الفداء، وعجل الله فرجه.

ثم، لابدّ لك أن تلتفت إلى أن أئمتنا الأبرار عليهم السلام محل تقدير وتكريم جميع فرق المسلمين وقد ذكر علماء السُنّة في كثير من كتبهم نزول مجموعة من آيات القرآن العزيز في مدحهم وفي الأمر بإتباعهم وفي لـزوم نصرتهم حتى ألّـف أحـد كبار علماء السُنّة وهـو الحاكم

الحسكاني كتاباً سمّاه «شواهد التنزيل» وقد خصّصه لذكر الآيات النازلة في أئمتنا عليهم السلام.

كما ذكر الكثير من أعلام السُنّة الأحاديث النبوية الواردة فيهم وهي كثيرة وخذ هذه واحدة منها، وقس البقيّة عليها:

فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله:

«من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً».

«ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له».

«ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً».

«ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان».

«ألا ومن مات على حب آل محمد بشّره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير».

«ألا ومن مات على حبّ آل محمد يُزفّ إلى الجنّة كما تُزفّ العروس إلى بيت زوجها».

«ألا ومن مات على حب آل محمّد فُتح له في قبره بابان إلى الجنّة».

«ألا ومن مات على حب آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمن».

«ألا ومن مات على حب آل محمّد مات على السُنّة والجماعة».

«ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً».

«ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله»[1].

وهنا أبيات لطيفة في أمير المؤمنين وإمام المتّقين علي عليه الصلاة والسلام، من النافع تحفيظها للناشئة الصغار:

بـنـي تمـسـك بـعـلي ... فـإنّـه خـيرُ ولي
وإنّـه عـينُ الهُـدى ... وإنّـه حـقٌ جلي
وإنّـه يُـنـجـيـك من ... أهـوال يـوم مُـقـبـلِ
لـتُـسـألُـنّ في غـد ... عَـنْ حُـبّ هـذا البَطَل
فَـحـبّـه صِراطُـهُ ... ويـلٌ لِمَـنْ لم يـقبلِ
بُـنـيّ وحـبّ حـيدر ... مـيـزانُ كُـلِّ الـعَـمَـلِ
فـاثبت عـليه فـوق ما ... يـثبت أصـلُ الجَـبَـلِ
حتّى وإن زال ودكّـت ... أرضـه لم تُـزلِ
إذا تمـسّـكـتَ بـه ... نـصرتَ خـيرَ الـرُّسُـلِ
ونـحـن أنـصـارُ الهـدى ... أنـصـارُ بـيت الأكـمـل
إنّ الـولا لمـنـزلٌ ... ونـحـنُ أهـل المـنـزلِ
خـتـامُـنـا مـسـكٌ وَقـدْ ... جـاء بـقـول مُـنـزَلِ
لا سيفَ إلاّ ذو الفقار ... لا فـتـى إلاّ عـلي

(١) الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، السيد عبدالحسين شرف الدين، فقد نقلها عن الثعلبي في تفسيره، وعن غيره، فراجع: الكلمة الغرّاء ص ٣٤.

الأصل الخامس: المعاد

أن نعتقد ونتيقن من أن الله عز وجل سيحيي جميع الناس بعد موتهم للحساب في يوم يُسمى بيوم القيامة، وهو يوم واحد بحساب ذلك العالم، إلاّ انّه يُعادل «٥٠/٠٠٠» سنة من هذا العالم، قال الله تعالى:

«تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»

وسيحاسب الله تعالى الناس في ذلك اليوم على كل كبيرة من أعمالهم وصغيرة، ويستعرض حسناتهم وسيئآتهم، ثم يجازيهم على أعمالهم وهم طوائف:

١ - طائفة عملوا الأعمال الصالحة في حياتهم فهؤلاء إلى الجنة مباشرة.

٢ - طائفة كفروا بالله وانحرفوا عن دينه فهؤلاء مخلدون في النار أبداً.

٣ - طائفة عملوا أعمالاً صالحة وأخرى سيئة وشملتهم شفاعة أو رحمة فيعفو الله عنهم ويذهب بهم إلى الجنة.

٤ - طائفة عملوا أعمالاً صالحة وأخرى سيئة ولم تشملهم شفاعة أو رحمة فهؤلاء يدخلون النار ثم يُخرجون إلى الجنة.

وهناك طوائف أخرى: كالمستضعفين ومن تحدثت عنهم الآية المباركة:

﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾[1].

وخلاصة حال هذه الفرق: أنهم لم يحملوا العقيدة المطلوبة إلاّ أنهم لم يرفضوا الإسلام ولم يجحدوه ولم يقاوموه ولم يناصبوا قادته – الأئمة المعصومين – العداء، ممّا يطول بذكرهم وتفصيل حالهم الكلام، وله مقام آخر.

ثم إن الإنسان يمرّ بحياة برزخية بعد الموت وقبل القيامة، يتنعّم فيها المحسن ويتألم فيها المسيء، فإذن علينا أن نعلمَ أن الإنسانَ – كل إنسان – لا أملَ له في سعادته الأبدية الخالدة بلا نهايةَ، إلاّ من خلالِ هذه الحياة، فليتحمّل مشاكلها ومآسيها، وليبذل غاية جهدهِ في طاعةِ الله، كي يضمنَ السعادةَ من أولِ لحظاتِ موتهِ والى الأبد، ونحن بحمد الله تعالى نسير في الطريق الصحيح، وهو:

١-الإيمان بوحدانية الله تعالى.

٢- وعدله.

٣- ونبوة النبي محمد ﷺ، وصحة وصدق كل ما جاء به.

٤- ونؤمن بإمامة الأئمة الاثني عشر سادة العباد وهداة البشرية

(١)سورة التوبة، الآية ١٠٦.

وحُفّاظ الإسلام وأوصياء الرسول ﷺ، ونؤمن بعصمة الزهراء عليها السلام وبمقامها العظيم في الدنيا والآخرة.

٥- ونؤمن بيوم القيامة.

٦- ونحن ملتزمون في سلوكنا بأوامر الله تعالى والنبي ﷺ والأئمة والزهراء عليهم السلام من طهارة، وصلاة، وصيام، وزكاة، وخمس، وحج، وجهاد، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وحب للمعصومين ولأولياء الله جميعاً، وبغض وعداوة لأعداء الله وأعداء أوليائه، بل نحن ملتزمون بكل أحكام الإسلام: في العبادات والمعاملات، مثل أحكام البيع، والإجارة، والأطعمة والأشربة، والميراث، والنذر، والكفارات، وغيرها من أحكام الإسلام العزيز الكثيرة، وهي مفتاح النجاة والجنة في الآخرة.

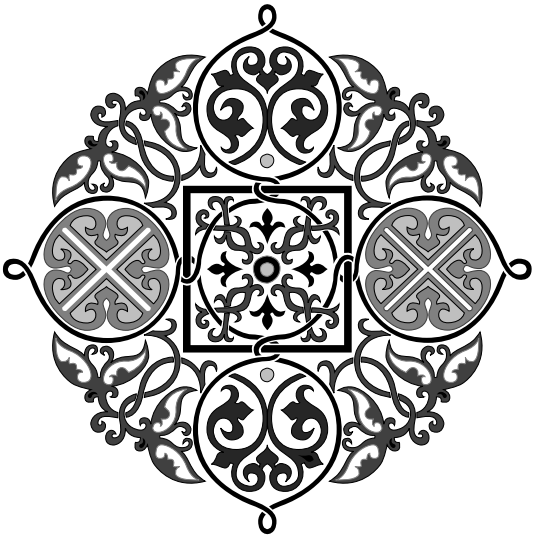

المحتوى

١ - رواية في الإمام المهدي، فيها بشارة..... ٣

٢-تعالوا معي إلى رحاب الله.....٥

٣-أصول الدين الخمسة.....٢٠

٤ - التوحيد..... ٢٦

٥-العدل.....٤٦

٦ - النبوة..... ٥٣

٧-الإمامة.....٦٣

٨- المعاد..... ٧٦

٩ - المحتوى..... ٨٠

تم الكتاب بحمد الله تعالى